

# الحياة الأدبية في مصر



أثار التقرير الذي نشرته « الآداب » في عددها الماضي حول « الحياة الأدبية في مصر » بقلم « ع » اصداء واسعة في الاوساط الادبية العربية تتراوح بين التقدير والتشكيك. وكانت « الآداب » قد قدمت لهذا التقرير بكلمة دعت فيها الكتاب والادباء ، في جمهورية مصر العربية خاصة ، الى ابداء آرائهم فيه حرصا منا على بلوغ الحقيقة التي يبدو ان التقرير قد انحرف عنها في بعض المواضع ، وخاصة بالنسبة لكتاب وادباء مصريين نحترم اسهامهم الفعال في الحياة الفكرية في مصر الشقيقة . وقد تلقينا ثلاثة ردود على التقرير حتى الان ننشرها حرفيا في ما يلي ، ونود ان نؤكد للقراء الكرام وللأستاذ رجاء النقاش الذي نقدره اعمق التقدير ، ان الأستاذ غالي شكري ، كان اول من بادر الى التعليق على التقرير . نقول هذا اثباتا لواقع لا دفاعا عن غالي شكره او سواه .

(( الآداب ))

وحين يتصدى كاتب للحياة الأدبية في مصر ، عليه ان يحدد منذ البدء : الاطار التاريخي للبحث ( الحيز الزمني ) ونوعية القضية التي ينشد معالجتها في حدود هذا الاطار أو الحيز . وأرجو أن يوافقني الأستاذ « ع » انه لم يفكر في هذه البديهيات مطلقا ، بل هو ترك قلمه على السجية ( أو انه ترك لقلمه العنان كما يقال ) ليسجل ذكريات وخواطر جزئية غير مترابطة لا تخاطب عقل القارئ وإنما تودع في وجدانه احساسا عاما بالقرف والبلبل . تأمل معي قول الكاتب مثلا : « واذا سألت عن السبب ، لم تجسد الا رجوع الصدى ، وبتأكد لك عبث أسئلة كثيرة في هذه الحياة الفانية » . وهي جملة أتصور مكانها في قصة قصيرة ، ولكن مخيلتي لا تستطيع استيعابها في سياق الحديث عن اعتقال بعض المثقفين من جانب السلطة ، فلا شك ان هناك أسبابا اوقف كل من المثقف والنظام ، ولا شك أيضا انه ليس من العبث في شيء ان نطرح هذا المسوقف للسؤال والجواب ، ولا شك أخيرا ان « الحياة الفانية » لا تستحق أصلا ان يتجشم الانسان من أجلها عناء الكتابة .

واذا صح ظني ان كاتب التقرير « فنان شاب » وليس ناقدا أو باحثا ، وقد عاش أحداث الفترة الاخيرة من حياة مصر الأدبية ، فقد كان من الافضل له ولنا أن يسجل ذكرياته « الشخصية » الحميمة ، أي المطلقة مباشرة من ذاته المفردة والمرتبطة بما رآه فعلا وعاشه من أحداث ، دون أي تحليل . حينذاك كان المقال جديرا بأن يكون « شهادة » واقعية ، يعاملها التاريخ الادبي في هذه الحدود . ولكن الكاتب لم يؤثر الطريق الموضوعي للبحث ولا هذا المعنى للطريق الذاتي ، فجاء مقاله مزقا متناثرة في الهواء .

مثلا ، ولا زلنا في اطار الشكل ، انه لم يحسب حيزا زمنيا « للحياة الأدبية » التي يناقشها . فهو يبدو أحيانا كما لو كان مهتما بالمرحلة التالية للهزيمة ، وأحيانا أخرى كما لو كان مهتما بالسنوات الاولى من الستينات حين ظهرت مجلات وزارة الثقافة . وهو كذلك لم يحدد « القضية » التي يناولها بالتحليل ، فهي أحيانا صراع الاجيال ، وهي أحيانا أخرى صراع السلطة والثقافة . وقد نتج عن هذا الخلط مباشرة ان المقال فقد من البداية الى النهاية خصائص اللوحة الثقافية لاحدى المراحل ، وأصبح نهبا لانفصال الوجدان - حين العام وحين الشخصي - الذي وجه الذاكرة الى النقاط تفاصيل تضخمت لدى الكاتب حتى أمست وكانها الخطوط الرئيسية ، والى اغفال حقائق كبيرة تضسالت عنده حتى أمست

## دفاعا عن الثقافة قبل المثقفين . .

بقلم غالي شكري

« تقرير عن الحياة الأدبية في مصر » عنوان طموح لان يكون وثيقة قابلة للايداع في سجل الثقافة المصرية . . ولكنه طموح خانته القدرة والذاكرة معا ، فلم يترك في خاتمة الطراف سوى مجموعة من الانفعالات الذاتية العادة .

من ناحية الشكل ، يتعد هذا المقال الذي نشرته « الآداب » في عددها الماضي ، عن كافة الاصول المتعارف عليها والمبتكرة على السواء في كتابة هذا النوع من الوثائق التسجيلية . انه ليس اكثر من انطباعات مبثورة يمينا ويسارا لا يجمعها ضابط سوى « الانفعال » الذي أدى الى ابتسار الحقائق ورؤيتها على نحو ضبابي غائم . والنية الطيبة وحدها لا تفغر لكاتب التقرير مفارمته . وأود أن أركز على هذا المعنى ، فلست أشك مطلقا في الدافع النبيل للأستاذ « ع » حين شرع يفكر في هذا الموضوع . لقد أحس انه يعيش في القاهرة وسط ظلمة طاغية وفوضى مخيفة وبلبل مروع . ولكن هذا الاحساس لم يقده الى محاولة الثاني في رصد المقدمات والنتائج واستقصاء العوامل الخفية والظاهرة وتلمس الابعاد الحقيقية اللازمة . ويخيل اليّ انه أحد الأدباء الشبان ممن يمارسون « الفن » لا كتابة البحوث ، كما يخيل اليّ انه صغير السن . ذلك ان تقريره يفتقد الاوليات اللازمة لكتابة مثل هذا المقال ، كما انه يفتقد الخبرة والتجربة الناصجة ( ولعله الان يضحك ملء شديقه ساخرا من هذا الرجل المعجوز الذي يفكر بهذه الطريقة ) .

ولكن الانفعال لم يكن في يوم من الايام ، بمفرده ، دليلا على الشباب والتفكير الحي . انه على العكس ، يسيء الى القضية المطروحة ، لانه اختار لها منذ البداية قالباً تصيريا يفترض فيه القدرة على الافناع . وهذا لن يتأتى ما لم يتسلح بادوات المنطق وما لم يملك عناصر السياق مكتملة وما لم يكن متفهما لمعنى النسبة والتناسب في اختيار التفاصيل وطريقة فرزها وتصنيفها وتبويبها .

وكان لا أهمية لها . وفي التفاصيل والخطوط العامة على السواء لم تكن « الفكرة » هي العمود الفقري الذي يجمع حوله هذه وتلك ، وإنما « الانطباع الباحث » هو السيد السذي أبرز من التفاصيل وتجاهل من الخطوط العامة ، ما وقع بالكاتب في فخ الرضا بالنفس والالوهية أحيانا .

وعندما نحاول هنا ان نجمع الشتات الطائر في كل صوب ، نكون قد وصلنا الى حافة « المضمون » . وسوء أراجع أولا ما جاء في المقال من تصور للاحداث والوقائع ، وسوف أحتفظ لنفسى ثانيا بحق ابداء الرأي في تحليل الكاتب لهذه الاحداث والوقائع ، ثم سأحاول ، أخيرا ، ان أطرح تصورا بديلا .

١ - الفقرة الاولى من التقرير نظم -سج الى شخصي الوضع الراهن للثقافة المصرية ، فتقول انه « يلوح في الافق بوادر فترة من انتكاسة ثقافية حقيقية ، نتيجة لما يحدث الآن في الساحة الثقافية في مصر من محاولات السلطة الادبية الرسمية ، لعزل الكتابة واغلاق مجالات النشر ، وسيادة اتجاه ، كان المفروض انه يعيش دوما على هامش الحياة الثقافية في مصر » . والمطلوب في رأي الكاتب لمواجهة هذا انطوفان هو « عدم الفرجة والجلوس على المقاهي واصدار التأوهات والزفريات » بل « نبقي المسؤولية على كاهل المثقفين - في مصر والوطن العربي والعالم اجمع - لكشف هذه الجريمة وتعريفها وادانتها والتبديد بها حتى تسقط » .

والحق ان كلا من التشخيص والعلاج معا ، يبلغان من التبسيط والارتباك مبلغا لا يلامس في الكثير او القليل جوهر الازمة الراهنة في مصر . ورغم الانفعال الحاد في طريقة التعبير ، فانه يبقى على السطح انطباعا باهنا وليس معالجة جندرية للامور .. فما يدعوه صاحب التقرير بالسلطة الادبية الرسمية ، ليس شيئا طارئا على مناخ الثقافة المصرية طيلة العشرين عاما الماضية . ان نادي القصة وجمعية الادباء والمجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب ، لم تكن جميعها في يوم من الايام بعيدة عن هيمنة « السلطة الادبية الرسمية » التي يعيهاها الكاتب . ولعل الرمز السنوي لاستمرارية هذه السلطة ومركزيتها الهيبة هو بقاء يوسف السباعي طيلة هذه المرحلة سكرتيرا عاما لكل هذه المؤسسات ، وما يفرض وجوده الشخصي من حاشية تلازمه في كل موقع . ومن ثم فليس هناك جديد في هذا الصدد ، ولا يمكن ان يكون هذا التصور للسلطة الادبية صالحا لتفسير ما حدث وما يحدث . السلطة الادبية الرسمية - أكرر - لم تتغير ، وتعيين يوسف السباعي وزيرا للثقافة لا يجسد تحولا خطيرا ، فقد كان من قبل وصوله الى السلطة التنفيذية مهيما على مختلف فروع الثقافة ، وهو ليس اكثر سوءا من سليمان حزين او بدرالدين ابو غازي او عبدالقادر حاتم او ثروت عكاشة ( حتى في عهد هذا الاخير تم اقصاء ممثلي اليسار عن المسؤوليات الادارية التي كانوا يتولونها في وزارته ) .

السلطة الادبية لم تتغير جوهريا اذن ، ومع هذا فقد حدث تغير ما - وهو تغير خطير بحق (١) - لم يشر اليه الكاتب رغم انه يدونه لا يمكن استقرار الحوادث بهمق ولا يمكن الوصول - من ثم - الى استنتاجات صحيحة .

وما يطالب به الكاتب المثقفين في مصر والوطن العربي والعالم كله ، لا يخرج عن حدود الشعار ، وحتى في هذه الحدود ، فهو شعار مبتور الصلة بالسياق .. لاننا لم نفهم تماما كنه « الجريمة » التي يقصدها حتى نفهم ماذا يعني بكشفها فضلا عن وسائل اسقاطها . اذا كانت الجريمة هي وجود يوسف السباعي وبطانته في قمة السلطة

( ١ ) انقلاب ١٤ مايو ١٩٧١ .

الادبية ، فهي جريمة قديمة ، واذا كانت الجريمة هي عزل الكتاب وابعادهم عن مواقعهم ، فهي الاخرى جريمة قديمة ( الفصل بالجملة من نقابة الصحفيين عام ١٩٥٤ والفصل بالجملة من الصحف عام ١٩٦٥ ) .. ولا يعني ذلك ان الجريمة سقطت بالتقادم ، ولكن يعني ان تشخيصها ومعالجتها يتطلبان تصورا اعمق واكثر جذرية للمسائل المطروحة الآن .

٢ - الفقرة الثانية تقول بالحرف « ليس ثمة امكانية لحدونه ( أي التواصل ) في مناخ ملوث ، يساهم فيه الكتاب بصمتهم أو مساوماتهم ، يمثل ما يحدث للأسف الشديد ، ممن كنا نتصور انهم روادنا الذين يجب علينا - نحن الاجيال الطالعة - محاكمتهم - بعنف » .

الصمت والمساومة ؟ لو كان هذا حال المثقفين المصريين ، لما اتخذت منهم السلطة مواقفها الصنيعة . ان لهجة الاطلاق والتعميم هي مصدر الخطر الذي يتزلق بالكاتب الى مهاوي النرجسية - باسم الجيل الطالع - والى النظرة الاحادية الجانب التي لا ترى الظاهرة في حركتها وبالتالي لا تتعرف عليها ولا تملك اهلية تقييمها . لقد صمت بعض الكتاب . نعم . وسامو البعض الآخر . نعم . ولكن الذين لم يصمتوا ولم يساموا من الفعالية والتأثير بحيث أصبح كلامهم وصلابتهم مصدرا لقلق حقيقي لدى القارئ على السلطة .

هذا التقييم غير المنصف كان الثمرة الطبيعية لطريقة الكاتب في التعبير ، اذ أثر الحديث عن الشكل الخارجي للاحداث ، ولم يمسس قط تخوم الانتاج الفعلي للمثقفين ومواقفهم . لقد كان يهمني كقارئ ان يطلعني صاحب التقرير على آرائه في كتابات الادباء والنقاد المصريين ، ومدى انسجامها مع مواقفهم من الاحداث المتفجرة . لقد ذكر أسماء العشرات دون اشارة واحدة الى مؤلفاتهم وماذا تقول، وسلوكهم وكيف يتحرك . ربما لو انه فعل لما تورط في أحكامه الهلامية غير البررة موضوعيا من « واقع » الثقافة ومخاوها الفكري ، لا من هيكلي « الاحداث » الثقافية العامة . كان بودي لو انه أضاء بصيرتي بقراءة جديدة لاعمال نجيب محفوظ ولويس عوض ويوسف ادريس وصلحاح عبد الصبور ورجاء النقاش وغيرهم ، ابان المرحلة التي يطمح لان يؤرخ لها ، وان يضاهي بين هذه الاعمال الفكرية والفنية والواقف السياسية .. وحينذاك كان عليه ان يطلع على البيانات التي كتبت ( لا أن ينسبها في كلمة واحدة الى توفيق الحكيم ) والمحاضرات التي أقيمت في الجامعة والصراع الضاري في نقابة الصحفيين . كان عليه ان يفعل ذلك كله قبل ان يلتقط « نهايات » المسائل للحكم باعدام هذا او ذاك من المثقفين .

هذا بالإضافة الى ان الفكرة النرجسية « عقد المحاكمات » موفلة في تضليل الذات عن رؤية حجمها وحجم الآخرين . ان « الجيل الطالع » نفسه ليس قطاعا متجانسا ، تتعدد انتماءاته تعددا مذهلا ، والمتازون منه يحتاجون الى التفاعل مع بفيسة الاجيال التي اعطت ولا زال بعضها يعطي ، بينما « الجيل الطالع » لم يرتفع عطاؤه بمدى الى مستوى « العدالة الالهية » التي تحكم على « البشر » بعيون مغمضة . في صفوف الجيل الطالع اعداد هائلة قبلت الرشاوي الصغيرة النافهة ، واعداد أخرى تمناني من انفصام الشخصية ، مزدوجة الفكر والسلوك .. والاعداد القليلة النادرة ، الموهوبة والواعدة بالطاء ، تتواصل مع الرموز المضيئة في بقية الاجيال دون تعال او غرور ، بل بكل رغبة أصيلة في التعلم .

٣ - وعلى ذلك فقد جاءت معظم الاحكام التي اطلقها صاحب التقرير على الاشخاص والاحداث والمواقف ، ابعدا ما تكون عن الصواب والموضوعية وحسن التقدير .

وبالنسبة للاشخاص سوف أتناول أربعة أمثلة فقط ، من بين

أي أنه - باعتراف صاحب التقرير - كان لا يزال يعطي حتى هذا التاريخ ، وليس هذا بالقليل !

ان لي شخصيا الكثير من التحفظات على نجيب محفوظ ، وهي تحفظات علنية نشرتها مرارا وضاق بها بعض عشاق الكاتب الكبير ، ولكن هذا لا ينبغي ان ما جاء في مقال « ع » عار من الصحة مطلقا . بالانفعال الشخصي الهزيل . وهو الانفعال الذي يصاحبه في قوله عن يوسف ادريس انه « أخذ ينتبه الى نفسه ومستقبله المشرق في الاهرام » . ولست ادري أي مستقبل مشرق جرى اليه يوسف في « الاهرام » . يبدو ان البريق الخارجي للمؤسسة الكبيرة ، يضل العيون السطحية الساذجة عن حقيقة المحتوى . ان ماضي وحاضر ومستقبل يوسف ادريس ظل دوما في كتبه لا في المنابر الصحفية التي عمل بها ، والترتب الذي يأخذه في نهاية كل شهر يتفاضلها محررون صغار النفس والموهبة ، وقصصه أو مقالاته غالبيتها لا تأخذ طريقها الى النشر ، فاي « مستقبل مشرق » في الاهرام هرول اليه يوسف ادريس ؟ يا ناس !!

وصلاح جاهين - يقول الكاتب - « تخلى عن الشعر الى أنواع أخرى أكثر درا للريح » . وليس هذا صحيحا ، فان ملحمة « على اسم مصر » التي كتبها جاهين منذ عام هي أعظم ما كتب من شعر على الاطلاق ، رغم ان الجزء الآخر من وصف التقرير له صحيح ، ولكنها النظرة الاحادية الجانب .

وصلاح عبد الصبور لا يمكن تقييمه - والخلص منه - بمقالين كتبهما عن أدب الشباب نختلف حولهما او نتفق ، ولا بموقفه في دار الكاتب العربي حيث استطاع بقدر ما أتيح له من النفوذ الفعلي وفي حدود الهيكل العام للمؤسسة - وهو أشمل من شخصه وأكبر - أن يعطي الثقافة عطاء شائته بعض أوجه القصور . . ولكننا في خاتمة المطاف لا نستطيع تقييم صلاح عبد الصبور الا من خلال أعماله الفنية في مقامه الاول : مأساة الحلاج ، مسافر ليل ، الاميرة تنتظر ، ليلي والمجنون ، بعد أن يموت الملك . وأيما كانت التحفظات الشعرية والمسرحية على هذه الاعمال ، فلا خلاف على انها وقفت الى جانب حريتنا وانساننا . ولذلك - أيضا !! - عزلوا صلاح عبد الصبور .

المدحس حقا ان الكاتب « ع » لم يتصد بنفس المقدار الذي تصدى به للكاتب الوطنيين والتقدميين ، لكاتب الثقافة الرجعية المدمرة للعقل والوجدان المصري . ان الدور التخريبي المروع الذي قامت به أجهزة الفكر الرجعي في مصر لم تنل منه سوى الشعارات العامة والآهات الريكية . وكان جديرا بتقرير عن « الحياة الادبية في مصر » أن يركز الضوء ساطعا على يؤر التآمر وشبكتها الجهنمية وأساليبها الباطشة بكل القيم والتقاليد التي أرسنها الثقافة المصرية منذ فجر نهضتنا . انه حين يتذكر فجأة مجلات القصة والشعر ، ليسب تيمور وثروت أباطة لا يتناول عام ١٩٦٥ الذي سقطت فيه هذه المجلات بتحليل المؤامرة التي شارك فيها المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب ( بيان لجنة الشعر الشهير ) وكيف وقف المثقفون المصريون وقفة بطولية في وجه الردة ، ولا كيف كانت هذه المؤامرة الثقافية ظلا لمؤامرة أكبر أعد لها الاخوان المسلمون . ان جرئومة الفساد في هذا التقرير المشوه انه خلا من السياق التاريخي ، ولم يستند على خلفية اجتماعية وسياسية تتخذ الثقافة على لوحها الامامية وضعها الحقيقي . كذلك خلا من أي تحليل للواقع الثقافي الفعلي في الانتاج والاستهلاك . حينذاك كان سينصف الثقافة قبل المثقفين أنفسهم .

انتي هنا لا ادافع عن المثقفين المصريين ، فلنا جميعا أخطاؤنا ، ولكنني اذا كنت أشهد للتاريخ من موقع التقدم ، فانه يتعين عليّ

عشرات الاسماء التي ذكرها الكاتب . ان الاستاذ « ع » الذي بدأ تقريره بهذه الكلمات : « وهتاك من الفهر والحصار ما يفوق الطاقة » يسى هذا المعنى تماما وهو يمسك بسكينه يذبح من يشاء . ومن الواضح ان موقفه بالنسبة لبعض الاشخاص لم يكن مصدره فحسب « الفيرة السياسية على الوطن » بقدر ما كانت لديه نظرة مسبقة وعوامل شخصية لا ادري كنهها ولكنني أشعر بها محلقة بين السطور . خذ رايه في رجاء النقاش مثلا . لقد خصه وحده ، بتلك الواقعة التي أوردتها مبتورة وخارج سياقها ، فرجاء النقاش لم يكتب بيانا « يؤيد فرارات الفزل » والا كان يدين نفسه بنفسه ، ان البيان الوحيد الذي تبني هذه القرارات بصورة ضمنية هو بيان يوسف السباعي وفكري أباطة وصالح جودت ويوسف الشاروني وادوار الخراط ( !! ) ورجاء لم يوقع على بيان السباعي ولا على بيان توفيق الحكيم . . . ولعل عزله رغم عدم توقيعه على شيء معناه الوحيد ان « تاريخ » رجاء عند أصحاب الامر والنهي هو « التهمة » المسلطة على عنقه دائما منذ ١٥ مايو ١٩٧١ ( من القريب حقا ان يغفل الكاتب عما حدث لبعض الصحفيين في هذا اليوم : احمد بهاء الدين وكامل زهيري وسامي داود ومحمد عودة ورجاء النقاش ومحمود العالم ) . ان تاريخ رجاء الذي يعاقب عليه الآن ، كغيره ، هو الذي دفع « ع » لان يقول في مواضع أخرى « فقدت مجلة الهلال دورها العظيم السابق » . . ألم يكن يقصد عهد رجاء النقاش ؟ ولكن « العامل الشخصي » يبرز حتى في طريقة التعبير لدى كاتب التقرير ، انه وهو يمتدح الفترة التي أمضاها رجاء مشرفا على روايات الهلال وكتاب الهلال ومجلة الهلال لا ينسى ان يغمز قائلا ان هذه « الاعمال التي لا نشك في قيمتها » قد تمّت خارج مجال المعركة بين القديم والجديد و « بسبب بعض العداوات الشخصية لرجاء نفسه » ! هل يتصور عقل ان ظهور « موسم الهجرة الى الشمال ، وابناء عشاق ، وصمت البحر ، وأميركا » - وهي الامثلة التي أوردتها الكاتب دون غيرها - كان بعيدا عن معركة القديم والجديد ؟ وأين « العداوات الشخصية » فيما ظهر من هذه الاعمال ؟ لعله من أسباب نجاح رجاء كصحفي ، انه يميز تماما بين علاقاته الشخصية والمادة الجيدة ، وانه يحرص أولا وقبل كل شيء على ان تكون المجلة أو السلسلة التي يصدرها منبرا ناجحا من الناحية الصحفية ، واسهاما وطنيا وتقدما من الناحية السياسية . ولذلك ، يا صديقي ، عزله ! عزله الفاشلون مهيا الرجعيون سياسيا . اليس كذلك ؟

أما نجيب محفوظ فيأخذ عليه انه « كان بإمكانه ان ذلك تقديم أعمال الشباب ، الأمر الذي يرفضه دائما ، او العمل على فتح الابواب لهم ، أو قول رايه بصراحة فيهم » ، « وقد اصبح كاتبنا نجما لامعا الآن » ، وكان « كما لا يزال يعيش على مآثره السابقة : الثلاثية ، ثرثرة فوق النيل ، ميرamar ، قصته القصيرة الوحيدة تحت المظلة » . ويبدو ان الكاتب قد آثر الارهاب بالارهاب ، فجنح في هذه العبارات الى أسلوب محاكم التفتيش ، إذ راح يحكم بالنوايا . انني في حدود ما أعلم ، أشهد بان نجيب محفوظ من بين أبناء جيله كان الكاتب الوحيد الذي خص الشباب بجزء لا يستهان به من وقته وجهسه وفكره ، وانه في أحد اجتماعات « الاهرام » كان مناقشا عن انتاج الشباب وضرورة نشره وتقييمه - وكلفت أنا شخصا بالمهمة الثانية التي طورتها في ملحق الطلبة - كذلك فقد تدخل نجيب محفوظ بكل وزنه من أجل الحياة المادية لبعض الادباء الشباب ، كان ينجح وكان يفشل ولكنه لم يبخل بالمحاولة فهو ليس وزيراً . كما ان نجيب محفوظ - بعيدا عن جلسة ريش - كان يعطي رايه ان يشاء فيما يكتب . ونجيب محفوظ لم يصبح نجما « الآن » بل هو نجم عن جدارة ومنذ عهد بعيد ، وأعماله التي أوردتها الكاتب في سياق « الماضي » قد صدرت - باستثناء الثلاثة - بعد ١٩٦٥ والى ١٩٦٧

كاذب يقتريه اصحاب النفوس الشريرة المريضة والتي تهدف الى الاساءة للناس والتشهير بهم واستغلال المحنة التي نمر بها اناوغيري في هذه الايام . وهي محاولة تخلو من الشجاعة والعفة والكرامة والضمير الادبي . وليس امام كل الشرفاء في الوطن العربي الا ان يقفوا بقوة ضد هذه الايدي التي تمتد لتطمئن الناس بالخناجر السمومة في الظلام .

رجاء النقاش

القاهرة

## ملاحظات حول تقرير «ع»

عن الحياة الادبية في مصر  
بقلم ابراهيم منصور

حين قرأ كاتب مسرحي مصري معروف تقرير «ع» عن الحياة الادبية في مصر ، المنشور في العدد الماضي من مجلة «الاداب» قال : « هذا شيء فظيع » ، ولم يكن فيما فراه الكاتب المسرحي المصري شيء جديد . فكل ما احتواه التقرير من حقائق امور يعرفها ، ويسمها ، ويعايشها .

التحليل السهل لتعليق الكاتب المسرحي المصري ( وقد فاه هو ) انه على الرغم من انه يعرف ، ويعايش ، ما احتواه التقرير من جزئيات ، فان تجميع هذه الجزئيات ، في صورة متكاملة ، قد افزعه .

رأيي الشخصي انه فرع لانه احس بالمعجز ، او فرع لانه لم يحس بالفرع ، لان كل هذا الذي حدث ، ويحدث - على مدى اكثر من عشرين عاما ، قد اصبح جزءا لا يتجزأ من الحياة الادبية اليومية - لا يحس الكثيرون انه يمثل انتهاكا وامتهانا لكل التراث والتقاليد الادبية المجيدة التي ارسيت في مصر ، فيما مضى .

\*\*\*

الهدف الاساسي للتقرير ، او الذي كان يجب ان يكون ( وربما لم ينجح «ع» في توصيله بالقدر الكافي ) هو كشف مدى انحدار ، وانهار ، وانحطاط ، الحياة الادبية في مصر ، على مدى عشرين عاما ، نتيجة لامتهان السلطة اليومي للادب ، وللادباء ، ونتيجة لاستسلام بعض الكتاب لهذا الامتهان ، بل ومساهمتهم فيه في مقابل الثلاثين قطعة من الفضة !!

\*\*\*

قوبل التقرير في المجتمع الادبي في مصر ، بموقفين ، هما ، في الحقيقة ، الموقفان الدائم ، اللذان يحدثان دائما في كافة المواقف الفكرية ، والاجتماعية في مصر ، في الفترة الاخيرة . ان هذا الاستقطاب قد اصبح ظاهرة تميز الحياة الادبية اليومية في مصر .

\*\*\*

قابل الكتاب « النجوم » التقرير ، بفضب شديد مشوب بالخوف . وكان دفاعهم الاساسي ، ونقطة انطلاق هجومهم عليه انه لا يصح ان يكون هؤلاء الكتاب « مضروبين » و« معزولين » ثم يكتب عنهم بما يدينهم من ماضيهم ، او من محاولاتهم العشبية للنجاة او الخلاص من استمرار الضرب والسف ، ولان هذا على الاقل ، ليس هو الوقت الملائم للحساب .

وينسى هؤلاء الكتاب ثلاثة امور :

● أولا : ان قضية العزل ليست هي القضية الاساسية ، بل هي قضية ثانوية ، بمعنى انها نتيجة حتمية لوضع ساهم هؤلاء

اولا تحليل النظام السياسي الراهن - وأقول النظام لا هذه الحكومة أو تلك - وأن أرصد بدقة وصبر الافعال وردود الافعال بين النظام والمتقنين ، ثم أختار التفاصيل التي تخضع السياق كشواهد ، لا كتجريح أو كتقريف للأفراد .

وليست هناك عملية تسجيل مجردة ، وانما « القضية » التي ابغى الدفاع عنها هي التي تقودني الى عمليات الاختيار والفرد والتصنيف . والقضية التي أراد «ع» الدفاع عنها هي حرية الفكر والتعبير في مصر . غير ان منهجه الانفعالي قاده الى كل شيء فيما عدا الدفاع عن الحرية (X) .

غالي شكري

بيروت

## افتراء

بقلم رجاء النقاش

فرات ما نشرته «الاداب» في عدد سبتمبر الماضي بتوقيع «ع» عن الحياة الثقافية في مصر . وقد آلمني وجرحني ما جاء في هذا المقال الغريب من افتراء كاذب يقول اني كتبت بيانا أويد فيه عزل الكتاب والصحفيين في مصر ، وانني دعوت الى مسيرة لتأييد هذا الاجراء . وقد خفف من ألمي وجرحي ان المقال لم يترك كاتباً وطنياً شريفاً في مصر الا ولطخه بالوحل والطين . وقد اعنى صاحب المقال عددا قليلا من الكتاب المصريين من افتراءاته وتجريحاته ، بل منح هذا العدد من الكتاب كثيرا من البركات واوسمة النضال والكفاءة وخدمة الثقافة ، وهذا موقف له معناه ، وسوف احتفظ لنفسي بتقديم التفسير لهذا الموقف في الوقت المناسب .

اما الان فيكفي ان اقول ان الوقائع التي نسبها صاحب المقال الى كاتب هذه السطور انما هي وقائع كاذبة مفتراة ولا اساس لها من الصحة باي شكل من الاشكال .

والواقع ان هذا الكلام الذي كتبه صاحب المقال انما هو كلام املاه حقد شرير اسود ، ولا هدف له الا الاساءة الى سمعة كاتب هذه السطور ، وكان كاتب المقال لم يقنع بما اصابني من المحن الكثيرة المتتالية التي ما زلت اعيش في اعماقها حتى الان . اقول ان صاحب المقال لم يكتف بذلك بل اراد ان يضيف محنة جديدة وان يزيد جرحا فوق الجراح القديمة ، ولا شك عندي ان كاتب المقال انما بنفس من احقاد قديمة ، وهي للاسف احقاد شرهة الى مزيد من الآلام في حياة الآخرين .

ويكفي ان اقول ان الافتراء الكاذب ضد كاتب هذه السطور هو افتراء يرفضه العمل من الاساس ، كما يرفضه تاريخي الادبي .

واني لانسأل كيف يقبل العقل ان اقوم باصدار بيان لتأييد اجراءات عزل الكتاب والصحفيين وانا نفسي واحد من اوائل هؤلاء المعزولين ؟ . . . المعقول ان اشكو من هذا الاجراء واعترض عليه ، او اطالب بتغييره واكافح من اجل ذلك ، اما ان أويد في بيان او مسيرة فهذا ادعاء

( X ) هذه المجموعة من الملاحظات تدفعني لكتابة تقرير مفصل في هذا الموضوع أرجو ان انجزه قريبا .

الكتاب انفسهم في خلقه ، باستسلامهم له .

● نانيا : ان القضية الاساسية هي انه على مدى اكثر من عشرين عاما . كان هناك سرطان يستشري بالترجيح في الحياة الادبية في مصر ، حتى وصل بها الى هذه الصورة المفزعة من الفكاهة السوداء ، حيث اصبح سادة الحياة الادبية في مصر هم : صالح جودت ، وابراهيم الورداني .

● ثانيا : من الفواعد الاساسية المسلم بها للديمقراطية ان الحساب الفوري على الاخطاء . والمراجعة المستمرة للمواقف ، هو الذي يمنع تكرار هذه الاخطاء ، وتراكم وتوالي نتائجها السيئة .

\*\*\*

والموقف انساني هو موقف كتاب « الادراج » والمطوئين ، والذين لم يبيعوا شرفهم ، ولا قلمهم ، لقاء المناصب الرسمية ، ولم يلجأوا الى الابواب الخلفية بلوغها وانما صانوا بشرف وصبر ومعانسة التراث الشريف الابي لمسئولية الكاتب ، والتقاليد الشريفة التي ارساها رواد الثقافة المصرية بدءا من رفاعة رافع الطهطاوي ، حتى نجيب محفوظ .

هؤلاء الكتاب كان موقفهم التأييد العام لهذا التقرير ، الذي يكشف الوضع المتردي للحياة الادبية في مصر ، الذي يعانون هم منه بالدرجة الاولى .

ومع كل ذلك ، فقد احتوى التقرير على بعض الاخطاء في الوقائع والمعلومات ، لا ندرى هل هي مقصودة ، ام انها نتيجة الجهل ، او النسيان ، او عدم المعرفة الواثية والواضحة .

\*\*\*

فمثلا لا يدري كتاب الفريق الثاني ، والى درجة الاستفراب والدهشة :

● لماذا ، بعد ان كالتقرير الهجوم ، لكل المجلات الرسمية - منح رضاه للملحق الادبي والفني لجلة الطليعة القاهرية ، في الفترة التي كان يشرف عليه فيها « غالي شكري » (!!) ، ويدين في نفس الوقت هذا الملحق نفسه ، بعد استقرار غالي شكري في بيروت (!!)

● ولا ندرى أهو نتيجة نقص في المعلومات ، ان يقرر الكاتب ان غالي شكري والدكتوراة لطيفة الزيات ، وصبري حافظ ، من الذين فصلهم الاتحاد الاشتراكي من عضويته ، مع ان اولهم وهو غالي شكري نقل فقط الى مصلحة الاستعلامات ، وهي جهاز اعلامي اخر ، والثانية لم يصبها اي ضرر ، بل لا زالت تشرف على ملحق الطليعة . اما الثالث فلم يكن ليحدث له اي ضرر . وهو الذي رفض مجرد قراءة بيان الكتاب الشهير الذي صافه توفيق الحكيم ، ثم انه ظل يكتب في الملحق ، بعد ان حدث ما حدث للكتاب ، وما يزال .

● وهل هي مجرد صدفة ان يهاجم التقرير كتابا مثل ثروت اباطة ( مهما اختلفت الآراء في تقييم كتابته ، فهو احد الذين وقعوا بيان الكتاب ، وفصلوا لذلك من الاتحاد الاشتراكي ) ، ويهاجمه ايضا الاستاذ الناقد غالي شكري في مجلة البلاغ الاسبوعية التي تصدر في بيروت !!

والذي نعرفه عن ثروت اباطة ( ونحن نختلف معه اختلافا اساسيا في كل شيء تقريبا ) هو انه - وهو الذي اصيب باضرار مادية محسوسة - وقف موقفا صلبا وشجاعا ، ورفض كل المحاولات المتكررة التي جرت لدفعه للاستسلام . ولو اتاحت للكثيرين من الكتاب المزولين الفرص المتاحة لثروت اباطة لعلت جميع مشاكلهم .

● ولا اجد لهجوم « ع » على نجيب محفوظ مبررا على الاطلاق ، افهم ان يطلب من الكاتب ألا يبيع قلمه ، ولكن لا افهم ان يطلب منه ان يكون سمسارا للاعمال الجديدة . ( وليس جريمة ان يتسهم الكاتب لجلسائه في تحفظ ) . ليس هذا عمله على وجه التأكيد . فعمله ان يكتب ، وان يكتب بصدق ، وشرف ، وبدون خوف . وهكذا كان ، وما

يزال ، نجيب محفوظ .

● وينطبق ما قيل - الى حد ما ، مع بعض التحفظات ، على الهجوم على بعض الكتاب الذين وقفوا مواقف شريفة لا خلاف عليها ، مثل يوسف ادريس الذي وقف موقفا مشرفا بتوقيعه وجهده في اول بيان هام للكتاب ، وبواقفه المشرفة في نقابة الصحفيين المصريين ، دفاعا عن حقوق الصحفيين ، وحرية الصحافة ، وضرورة الديمقراطية للحياة المصرية في الفترة الاخيرة .

● اما بخصوص ما ورد بالتقرير ، بالنسبة لرجاء النفاش ( الذي لم يوقع على بيان توفيق الحكيم ، لانه لم يعرض عليه ) وانه كان يجمع نوافيعات الكتاب ، على بيان يؤيد فصل الكتاب . فالذي اعلمه هو ما يلي :

١ - ان الذي صاغ البيان هو الاستاذ الناقد الدكتور علي الراعي . ووقعه عدد من الادباء منهم الاستاذ رجاء النفاش والكاتب المسرحي علي سالم ، والدكتور يوسف ادريس ، والشاعر احمد عبد المظي حجازي ( والاخير سحب توقيعه فيما بعد ) .

٢ - ان البيان لم يكن يؤيد موقف السلطة من الكتاب ، وانما كان يؤيد ويدعو الى تنفيذ ما جاء بالبيان المشترك الذي صدر عقب مقابلة السيد رئيس الجمهورية للكاتب الكبير الاستاذ توفيق الحكيم ، والذي نشر في جريدة الاهرام القاهرية

٣ - ثم ان هذا البيان قد واجه معارضة من اكثر الكتاب لاسباب مختلفة ، اذناها انه يجب الانتظار الى ان يثمر البيان المشترك بعض النتائج العملية بالنسبة للكتاب ، الذين كان لعزلهم صدى واسع في الاوساط الثقافية في العالم .

وود توقف اصدار هذا البيان بموافقة الكتاب الموقعين انفسهم .

\*\*\*

في رأيي ان تقرير « ع » تنقصه حقائق كثيرة - من ناحية المعلومات ، ومن ناحية التحليل والتقييم للوضع الثقافي في مصر - وهي الحقائق التي تدعم الفاية الاساسية التي اعتقد انها كانت هدف كاتب التقرير .

\*\*\*

وليس المخيف حقا ان يكون سادة الحياة الادبية في مصر اليوم هم : صالح جودت وابراهيم الورداني وامثالهم ، وانما الذي يشغل القلب والنفس ، هو تصور ما كان يمكن ان يكتبه كثير من الكتاب والادباء اليوم ، لو كان مسموحا لهم بالكتابة .

\*\*\*

وعلينا ان نقول صراحة ان مقاومة الكتاب المصريين من اجل وطنهم ، لا تعرضهم اليوم للاضطهاد البشع ، الذي يصوره « ع » ، فليس الجلوس على المقاهي بدون عمل ، وباجر كامل ، مثل مواجهة الكلاب البوليسية المدرسة على نهش الاعضاء التناسلية ، كما كان يحدث في الماضي .

\*\*\*

واخيراً ..

ان الوضع الثقافي والادبي في مصر ، يطرح بالحاح ، امام الكتاب والادباء المصريين الشرفاء ، مهمة تكوين جبهة للمثقفين والكتاب المصريين وغير المصريين ( في صورة اتحاد حقيقي ) يكون هدفها الاساسي الدفاع المستميت عن الكتاب ، حياة ، وعملا ، وحفهم في ان يقولوا كلمتهم ، تعبيرا عن امال شعبهم .

والسؤال هو :

هل يستطيع الكتاب - بظروفهم واورواقهم الحالية - وضع هذه المهمة ، وذلك الهدف ، موضع التنفيذ ؟ ذلك ما نرجوه جميعا من كل قلوبنا .

ابراهيم منصور

القاهرة